

رائد من رواد الموسيقى العراقية

حننا بطرس الشماس
حننا بطرس الشماس

بقلم هرمز خاميس متي

الموسيقي فن عريق كباقي الفنون و الآداب. فهي ذوق وتربية وعمق حضاري. اضافة الى أنها عمل فني صعب و متشعب، لا ينهض به الا الفنانون الموهوبون المثابرون المحبون للموسيقى و الرسالة الفنية. وقد انجب شعبنا أكلدو آشوري في العراق عشرات من الفنانين الموسيقيين أعتبروا من رواد الموسيقى العراقية، و مؤسسي التربية الموسيقية. منهم كان الأستاذ حنا بطرس الشماس. وهو من اسرة شاجا (شازا) الألقوشية والتي من فروعها (جعو ، نونو ، كسبر) .



ولد الفنان في ١٨٩٦/١١/٢٤ في مدينة الموصل، ليكون الابن الثالث في تسلسل العائلة. وكانت نشأته الاولى نشأة دينية ثقافية مزجت الموسيقى بينهما، فلم يأل الشماس حنا جهدا في سبيل العمل على موسيقى الخدمة الكنسية المتمثلة بالتراتيل المتوارثة ، وذلك بقيامه بتدوين الكثير من مفردات التراث الطقسي الكنسي . ومن ضمن ذلك العمل الكبير الرائع الذي وضعه باباي الجبلي (القرن السابع - الثامن) والذي مطلعته : (**الله هسه ذبح ملائكة** محمد محمد) : (طار رئيس الملائكة هابطا من أعلى السموات) وتدعى هذه الترتيلة (انشودة صباح القيامة) .

يقول : نجل الشماس حنا بطرس الاستاذ باسم عن الجهد الذي بذله والده في تدوين هذه الترتيلة : في قراءة لنموذج

شرع في كتابة فصول منه ، ولكن رحيله المبكر حال دون تحقيق طموحه ذلك . بالإضافة الى كل هذا لقد كان متفوقا ايضا كبطل رياضي في الالعاب الرياضية المدرسية وفي المرحلة المتوسطة نضجت مواهبه الموسيقية وشرع بدراسة الموسيقى ثم التحق في عام ١٩١٨ بالخدمة العسكرية . في صنف الموسيقى بالموصل . وبعد ترقية عسكرية سريعة تولى ادارة جوق موسقى في الجيش . وفي اواخر العام ١٩١٩ وبدخول القوات البريطانية العراق تسرح من الخدمة العسكرية . وبدأت رحلة المعلم والاستاذ الموسيقي وصاحب المؤلفات و الاغاني والانشيد الوطنية الشهيرة . في العام ١٩٢١ ، وقد باشر عمله كمعلم للغة العربية والموسيقى في مدارس الموصل ومشرفا عاما للكشافة في مدارسها حيث شكل لأول مرة جوقا موسيقيا خاصا بالحركة الكشفية .

وفي سنة ١٩٢٢ اسس اول جوق موسيقى في الموصل للجيش العراقي ومنه تشكلت اول نواة صنف الموسيقى العسكرية في العراق . بعدها اقامت وزارة المعارف في بغداد سنة ١٩٢٥ دورة صيفية لمخيم الكشافة .

فكان حنا بطرس مفتشاً و مدرساً للموسيقى في دار المعلمين في بغداد بعد رحلة موسيقية ثرة في الموصل . وفي ذات الوقت من العام ١٩٢٥ تلقى علومه الموسيقية في النظريات والتحليل والتأليف والقيادة في كلية لندن الدولية للموسيقى ليتخرج في آب عام ١٩٣١ حاصلاً بتفوق على شهادة في الموسيقى

التدوين الموسيقي للحن (**polyphony** : طاس ونحيث) للمرحوم حنا بطرس ، نجده موضوعا بصيغة (التأليف الموسيقي متعدد الاصوات) بما يعرف موسيقيا ب (البوليفونية (polyphony) فللمقطع الاول منه الذي يشكل المقدمة المقدمة الموسيقية : (prelude) هو عبارة عن تمهيد استرسالي بلا انقطاع ، وفيه تبرز براعة المؤدي (المنفرد : solo) ، كما فعل المطران افرام بدي بصوته الجميل العذب ، في تسجيلاته على الاسطوانات الفونوغرافية ، واشرطة الكاسيت التي قام بانتاجها في المانيا، وكما يفعل اليوم الاب يوحنا جولاغ في ادائه لهذه الترتيلة .

واما عن دراسة هذا الفنان الكبير فكان قد درس في مدرسة ابتدائية تابعة الى كنيسة الكلدان ، فكانت سببا في تشعبه بنغمات موسيقية شرقية حاملة وطقوس موسيقية كنائسية تجسدت كل ذلك في التراتيل والانشيد . وقد كان للبيئة المحافظة التي نشأ فيها دور في التعرف المبكر على اصول الشرق الموسيقية القديمة . وظهر التلميذ الذكي الطموح حنا بطرس مواهب مبكرة وميلا حرا للفنون الجميلة فأتقن وهو صغير اللغات العربية والسريانية والفرنسية والتركية وكان صوته متميزا في انجاز وتقديم العمل بالأصوات المتعددة من افواه المنشدين في كورال كبير بمصاحبة الفرق الموسيقية الكبيرة ، الفرقة السمفونية ، كفصل من فصول (اوراتوريو — و ادم الثاني : oratorioadam the second) الذي

فكان اول عراقي يحصل على مثل هذه الشهادة في زمانه.

وفي العام ١٩٣٤ صدر امر من وزارة المعارف بنقله للتدريس في لواء العمارة فأنشأ فيها البذرة الاولى للموسيقى الحديثة حتى نهاية العام ١٩٣٥ عندما اصدرت الوزارة امراً بتأريخ ١٩٣٦١١١١ يقضي بنقل خدماته الى بغداد وتكليفه رسمياً بتأسيس المعهد الموسيقي بأدارته ، النواة الحقيقية للحركة الموسيقية العراقية وبمبادرة من لدن التربوي الاستاذ ساطع الحصري . وفي العام ١٩٣٧ عمل معاوناً لمدير المعهد الشريف محي الدين حيدر. تحول المعهد في العام ١٩٣٩ الى (معهد الفنون الجميلة باضافة فروع التمثيل والرسم والنحت اليه) . وفي العام ١٩٣٦ كلف بتشكيل وتأسيس الجوق الموسيقي.

ووضع للشرطة نشيد الشرطة العراقية. وفي المعهد الموسيقي الذي أسسه تفتقت مواهبه الفطرية والاكاديمية عن اعمال موسيقية خالدة عن طريق الجوق الموسيقي القائم لأول مرة على اصول ومبادئ علمية حديثة في المعهد فقدم العديد من المقطوعات الموسيقية والانشيد التي كانت تنشد في الاستعراضات و المناسبات الرياضية و الوطنية و الكشفية...

و ألف الموسيقي حنا بطرس كتابين في النظريات الموسيقية صدرت عامي ١٩٣٨-١٩٤٦ على التوالي.

وله عدد آخر من الكتب والمخطوطات في تاريخ الموسيقى منها (تعليم العزف على الكمان_مخطوط) و(التعليم العزف

على العود_مخطوط). ويعتبر الأستاذ حنا بطرس الرائد الأول في مجال تلحين الاناشيد الوطنية التي أججت مشاعر الاجيال وهي تفيض حباً و صدقا و اخلاصا و جمالا لتربة الوطن العراق الغالي ورددت حناجر أجيال من تلامذة المدارس على امتداد العراق مؤلفاته.

الاستاذ حنا بطرس هو ملحن نشيد (موطني موطني) الذي تقول كلماته: "موطني موطني...الجمال والجلال...الحياة والنجاة في روباك في روباك.... الهناء والرجاء.... والسناء والبهاء في هواك في هواك ...

اضافة الى تلحينه للانشيد منها نشيد "لاحت رؤوس الحراب" و "انت العراق بلادي" و"سيروا للمجد". و(نشيد الجهاد للوطن) و(نادي الاوطان) وعدد آخر من الاناشيد.ومن اثاره وانتاجاته الفنية والأدبية نذكر منها :

- ١- الجزء الاول من مؤلفه القيم (نظريات في الموسيقى) ١٩٥٤
- ٢- حياة الموسيقيين العراقيين (مخطوط)
- ٣- مبادئ دروس النوتة الاولى (١٩٣٠)
- ٤- اصول حياة الاوركسترا (مخطوط)
- ٥- تأملات في الحياة في خمسة انغام عراقية (مخطوط)
- ٦- مؤلفات للكمان والبيانو عزفت في حفلات عالمية .
- ٧- كتب مقالات في مجلتي (المشرق) و (لسان المشرق) الموصليتين ، لصاحبها المطران بولس بهنام .

البطيريك مار بولص شيخو يطلب فيها
تغطية نفقات المستشفى) . وبعد هذه
الرحلة الطويلة المضنية احيل المعلم
والمربي حنا بطرس الى التقاعد في عام
١٩٥٢ وتوفي عام ١٩٦٥ . واليوم
يتبادر الى الذهن سؤال ، وهو كيف
نحافظ على هذه الثروة الموسيقية
الأصيلة من الضياع والنسيان ؟

أن تحطم الامم و ضياعها يبدأ من ضياع
اصولها الفنية والتراثية على حد قول
(ابن زيدون) وان اول ما ينقطع عند
انقطاع العمران هو الغناء والفنون
والموسيقى.

اخيرا ادعو الى تكريم هذا الرائد
الموسيقي الكبير باقامة نصب تذكاري له
يليق بسمعته وابداعه ومكانته، وهو
الفنان العراقي البسيط الذي احب وطنه.

تشير بعض المصادر الى انه قد سجل
اول اسطوانة في العراق (قرص
شمعي) وكانت الاغنية المسجلة تحت
عنوان (سجد بملكه ذبلكه ملكه
معد) سجلها عام ١٩٣٤ .

٨- كما انه مارس تعليم الموسيقى في
مدرسة يوسف قليتا (المدرسة الاثرية
في الموصل) .

ومن مآثره الانسانية يقول الاستاذ باسم
حنا نجل الاستاذ بطرس وحسب معرفته
الشخصية : انه قام باسكان عوائل
مسيحية مهاجرة من فلسطين عام
١٩٥١ وتوفير فرص عمل لها. وقال
ايضا عن والده بان قد اجريت له عملية
جراحية في القدس عام ١٩٦٥
لأستئصال البروستات (صادف ان كنا
في القدس ، فقمنا بزيارته هناك ،
وكلفني بنقل رسالة منه الى غبطة



المصادر

- ١- بنيامين حداد- سفر القوش الثقافي
- ٢- مجلة اقلام مهجرية - سانتياكو امريكا
- ٣- معلومات من نجله الاستاذ باسم حنا بعثها للأستاذ بنيامين حداد .
- ٤- هرمز خاميس (وسام العراقي) حنا بطرس رائد من رواد الموسيقى في العراق جريدة ريكاى كوردستان للحزب الشيوعي الكوردستاني - ملحق كلدواشور العدد (٥) في اوانل نيسان ١٩٩٨ .